وفاة سينا موريا

في آب من عام 2000 وصلتني رسالة من فولكمار:

السيدة الأم العزيزة،
في مارس 22 توفيت والدتي بينما كانت في قبرص، فنقلها أصدقاؤها لتدفن في القدس.. علمت ذلك من خالي كونراد بلبير في شتوتغارت الذي حدثني على التلفون وقال لي بـأن دائرة السجل السكاني في بون أعلمته بذلك بناء على طلبه، ولكن لم يحصل على مزيـد من المعلومات بعد.. في اليوم التالي اتصلت بالدائرة فأعطيت رقم تلفون السفارة الألمانية في نيقوسيا فقيل لي بأن أمي كانت تحمل جواز سفر ألماني، ولكنها دخلت قبرص بجواز سفر اسرائيلي، وأخيرا استطعت التحدث مع السيد جلبشن في القدس فعرفت جلية الأمر. سآتي الى دمشق وأشرح لكم التفاصيل وجها لوجه. تحياتي القلبية،

فولكمار

جاء فولكمار لزيارتنا بعد فترة وجيزة، ومنه علمت بأن أمه لم تكف أبدا عن حلمها في أن يتحقق السلام في العالم.. وأنها كانت تسافر وتبشر بدعوتها في كل مكـان حتـى وهي مريضة.. وما بدأته في أولمبياد هلسنكي من حملها للشعلة وركضها فـي الـساحة ووقوفها أمام المكروفون تدعو للسلام، استمرت به حتى آخر لحظة من حياتهـا.. ومـا أخبرتني به حين فسرت لي سبب إطلاقها على نفسها اسم سينا موريا بأن اسمها يهـدف الى أن يجتمع الشرق والغرب على الإيمان بوحدة الأديان وهاهي تدفن كما شـاءت لهـا الأقدار أن تدفن في سفح جبل موريا الذي هو جبل الزيتون..

وكثيرا ما حدثتني عن حلمها في أن يتحقق السلام في هذه المنطقة من العـالم، مهد الرسالات السماوية، وأن تنهي حياتها كالقديسة تريزا راهبة في مجمع في سـيناء أو القدس يجمع بين الكنيس والكنيسة والمسجد يدخله الناس من أبوابه الثلاثة ويعبـدون الله حسب ما اعتادوا من طقوس لأن الطريق الى الله واحد ولا يتغيـر الجـوهر بـاختلاف

الطقوس فيتفاهمون جميعا من أجل مجد الإنسان.. ولعلها حدثت عن حلمها هذا كثيـرين من زعماء العالم، سياسيين أو رجال دين أو عسكريين ممن كانت تقابلهم..

قال لي فولكمار حين جاء لزيارتنا:

-مررت بنيقوسيا وتعرفت على بعض من قابلتهم هناك.. أتصدقين أن أحدهم قال لي "ان أمك نبية، لم أجد انسانا مثلها لا بين العرب ولا بين اليهود من سعى للسلام بـصدق وإخلاص كما فعلت".

لأول مرة أسمع فولكمار يمدح أمه، فكم أنبته على تصرفه العاق معها حتى أدى بها الأمر الى القطيعة معه! أردف قائلا:

-بودي لو أزور قبرها وأطلب منها الغفران عما أسأت به اليها! فقلت له:

-اياك أن تفعل هذا الوقت ليس مناسبا.. انك تسيء بذلك الى ذكرى والدك والى إخوتك.. ان أحدا منهم لن يقرك على هذا الأمر، ولن تجد بيتنا مفتوحا لك لو فعلت ذلك.. قال وقد تعكر مزاجه:

-ان والدي قال لي أيضا أن الوقت غير مناسب كي يعترف بي، وها هو قد توفي دون أن أحصل على حقي الشرعي في الإنتماء اليه.. وها هي أمي قد لحقت به.. لو كنت قـادرا على أن أقول أنني ابن لذلك الوالد وتلك الأم لتغيرت أمور كثيرة بالنسبة الى وضعي"..

-لن يتغير وضعك الاّ اذا تجاوزت عقدة الإمتحان وكنت بارزا في مجتمعك، ولهذا طريقة وحيدة وهي أن تكون جادا في الإستعداد له.. أنت شاب لامع، وعنـدك صـفات القاضي النزيه التي كانت لأبيك وجدك.. في استقامتك وكبريائك ونزاهتك.. لا تقفز فوق الحواجز.. أكررما قلته لك في رسالتي التي حملها اليك صديقك المحامي رتـشارد يـوم زارنا، ليخبرنا فيها عن أحوالك، ورغبتك في المجيء عندنا لتـتعلم العربيـة وتتـرجم الأعمال التي تركها والدك.. أنت تعيش في بلد يضمن العاطلين عن العمل حتى للغربـاء اللاجئين اليه، فلماذا تتملكك الكبرياء أن تأخذ معونة الدولة، وتكف عن الأعمال التافهـة التي تسرق وقتك وتتركك في قاع المجتمع.. تفرغ لدراسة جادة عاما أوعامين حتى تنال المؤهل العلمي الذي يفتح أمامك أبواب العمل اللائق بك.. أنت تتقن ثلاث لغـات وهـذا وحده كاف لتشق بها طريقك.. فلماذا تريد أن تضيع وقتك في دراسة لغة صعبة لتعـرف دقائقها وتترجم عنها، وخصوصا لأعمال والدك التي تتطلب حتى من القـارئ العربـي

جهدا وثقافة لفهم محتواها؟ لقد تطلبت اللغة الروسية من يوسف عامين كاملين حتى أتقن لغة صعبة وأصبح يستطيع أن يفهم المحاضرات ويكتب بها بشكل صـحيح وهـي لغـة علمية لا تتطلب جهد لغة الأدب.. فانفق أنت هذين العامين لدراسة العربية على دراسـة كتب القانون وأنا واثقة أن نتائجك ستكون باهرة حينذاك، فمواضيعها لن تكـون غريبـة عليك.. ولا تظن أن والدك كان ينفق على دراسة أحد من إخوتـك.. قطعـوا الأشـواك بمفردهم اذ كانوا أوائل الشباب الذين تخرجوا من جامعاتهم.. في ذلك الوقت كان راتـب والدك التقاعدي لا يتجاوز خمسين دولارا وكانت له حقوق مدنية لم يطالب بها حتـى لا يدعي على الجيش الذي كان قائده وزوده بالسلاح الكافي لحماية بلاده، وحين توفي لم يكن في جيبه الاّ أربع وأربعون ليرة أي أقل من دولار وليس له أي رصيد فـي أي بنـك أو صندوق توفير.. هذا في الوقت الذي كانت فيه أمك تعطيك نصف راتبهـا مـن مهنتهـا كطبيبة أي ما يعادل ألفا وخمسمائة دولار لتتدبر أمور سكنك ومعيشتك ودراستك.. مـاذا كان ينقصك؟ لماذا فقدت الحافز للدرس؟ أهو الصراع في نفسك بين أوهام زرعتها أمـك في نفسك عن الحياة وتعقيداتها، ومبادئ والدك الصارمة تجاه نفسه والآخرين؟ هل كنـت تريد أن تعاقب كلا والديك بفشلك؟ كلاهما ليسا ملومين، ولكن الظروف أساءت اليهمـا.. لقد ولدت من قصة حب رائعة، وما حطّ والدك من قدر أمك أبدا.. وأنا كنـت أحترمهـا وأقدرها وأتألم لعذابها في أنها فشلت لكسب ثقتك.. أتحسب أن الله لم يغفر لها هذا الحـب التعس لوالدك؟ انها أحبته بكل جوارحها حتى مماتها وهو كذلك.. لقد عرفا كيف يـصعدا هذا الحب الى حب للإنسانية جمعاء. هي في طريقها لتكون داعية سلام، وهو في طريقه ليكتب تلك الكتب الرائعة فتكون دليلا لمن يأتي بعده لبناء مجتمعات إنسانية يتعارف فيها الناس ويتكافلون ويبنون سلاما حقيقيا لا يستعبد فيه انسان انسانا آخر.

والآن وقد عرفت رسالة والدتك وندمت على سوء تصرفك معها، ستغفر لـك مـا أسأت به اليها في أن تصعد مشاعرك تجاه والديك، ويكون وضعك حـافزا لـك لتكـون الرجل الذي طمح به كلاهما!

حدثته أيضا عن قصة ولادة ذلك الحب كما قصتها علي أمه، يوم كانا على جبـل نصب في قمته تمثال للمسيح.. لقد ركع كلاهما أمام تمثال المسيح، وصلى كـل منهمـا حسب المذهب الذي ينتمي اليه.. هي البروتـستنتية التـي لا تـؤمن بألوهيـة المـسيح

وهوالمسلم الذي يؤمن بأن المسيح رسول وتعاهدا على الزواج وكان الله هو شـاهدهما، وأنت ثمرة هذا الزواج! ولم تعرف رجلا غيره في حياتها أبدا..